

تحديات الصحافة الدينية الإسلامية في الجزائر أثناء الاحتلال

شفيفة خنيفر

جامعة محمد الشريف مساعديّة سوق أهراس (الجزائر)

الملخص

تعد الصحافة الإصلاحية ذات الإتجاه الإسلامي، والتي كانت تصدر في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي من أهم التجارب الصحفية آنذاك، وربما حتى وقتنا الحالي، فقد نشأت في ظروف صعبة تحت سلطة الاستعمار الذي كان هدفه الأوحده القضاء على الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر، من خلال التربص ببعديها الأساسيين وهما الدين واللغة، ولكن عزيمة رجال الإصلاح في الجزائر آنذاك لم تهين ولم تنكسر فكلما كانت المواجهة شرسة من قبل الإدارة الفرنسية للإصدارات الصحفية، ومواجهتها بالإيقاف أو الغلق، كان الصبر والصمود هو الحل الوحيد لدى رجال الجزائر، من خلال إعادة إحياء عناوين جديدة مقابل تلك التي أوقفت، إضافة إلى الذكاء الشديد في التعامل مع العدو، وذلك بإظهار المهادنة وتخفيف اللهجة، وعدم إبداء المواجهة الصريحة حتى الوصول إلى الغاية المنشودة.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الدينية الإسلامية، الجزائر، الاحتلال.

Abstract :

The reformist press of the Islamic trend, which was issued in Algeria during the French colonialism was the most important press testing then, and perhaps at the present time too, there emerged in difficult circumstances under the authority of colonialism, which was the sole objective is the elimination of the Islamic Arab personality in Algeria, through the Ensnaing dual core, religion and language, but the resolve of the men of reform in Algeria, at that time did not weaken or break, the more fierce confrontation was by the French department of press releases, and confront arrest or closed. the patience and resistance is the only solution to the Algerian men, through the revival of new titles for those arrested, in addition to intelligence in dealing with the enemy by showing appeasement and easing the tone, and make explicit confrontation to reach the desired goal.

Keywords: Islamic religious press, Algeria, occupation.

Résumé:

La presse réformatrice de la tendance islamique, qui a été publiée en Algérie pendant l'occupation française se considère comme l'une des plus importantes expérience à l'époque et même aujourd'hui. La naissance de cette presse était dans des circonstances difficiles dans le colonialisme, qui avait pour but d'éliminer le caractère arabe et islamique de l'autorité Algérie, à travers ses deux dimensions la religion et la langue, mais la détermination des hommes de la réforme en Algérie à l'époque ne vacille pas et ne casser pas. la confrontation plus féroce par l'administration française des communiqués de presse, et la suspension du visage ou de la fermeture, la patience et la fermeté est la seule solution aux hommes de l'Algérie, à travers la relance de Nouveau par rapport à ceux qui ont arrêté, en plus d'intelligence intense face à l'ennemi, en montrant l'apaisement et la facilité, et de ne pas faire la confrontation explicite jusqu'à atteindre la fin désirée.

Mots clés: Presse religieuse islamique, l'Algérie, l'occupation.

مقدمة:

عرفت مختلف الدول العربية الصحافة في وقت مبكر مقارنة بظهور الصحف لأول مرة في العالم، وفي ظل الفترات العصبية التي مر بها العالم العربي والإسلامي في مرحلة زمنية مضت، والمتمثلة في الاستعمار الصليبي الذي تربع على خارطة هذه الدول، محاولاً طمس كل ماله علاقة بالهوية العربية والإسلامية، في ظل هذه التطورات الخطيرة، بزغت أقلام عربية إصلاحية حاولت التصدي لمثل هذه الممارسات، ومن بين التجارب التي برزت على الواجهة، تجربة الصحافة الدينية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، ممثلة في جهود الإمام عبد الحميد بن باديس، ورجال

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكذا صحافة أبي اليقظان، والتي تعتبر من أهم الإنجازات الصحفية آنذاك، وهو ما يمثل موضوع هذه الورقة.

الإشكالية:

إن الصحافة هي من أقدم وأعرق الوسائل الإعلامية التي اعتمد عليها الدعاة والمصلحون في العصر الحديث، وقد عرفت الجزائر الصحافة الدينية الإصلاحية مبكرا، ولكن ما يميزها أكثر هو صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المميزة في هذا المجال. ولهذا نحاول من خلال هذه الورقة الإجابة على التساؤل الرئيسي الآتي:

ماهي ملامح الصحافة الدينية الإصلاحية الجزائرية أثناء فترة الاحتلال، وماهي أبرز التحديات التي واجهتها؟

أهمية الموضوع:

أهمية هذا الموضوع تتبع أساسا من أهمية الصحافة في نشر الوعي الديني على اختلاف مستوياته، والتي تنحصر هنا في الدور الفعال الذي قامت به الصحافة الإصلاحية في الجزائر من خلال مجموع الإصدارات التي واجهت غطرسة الاستعمار الفرنسي وسعيه الدائم في القضاء على الشخصية العربية الإسلامية، ودورها في توعية الجزائريين بهذا التحدي. إضافة إلى أن التعريف بمثل هذه التجارب الناجحة، يساهم في إطلاع الأجيال الصاعدة من الإعلاميين على أهمية العمل والسعي المتواصل من أجل تحقيق الأهداف بالسبل المشروعة.

الأهداف: التعرف على أهم الإصدارات الصحفية الدينية الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي.

التعرف على أهم الموضوعات التي تضمنتها.

إبراز أهم التحديات والعوائق التي واجهتها.

تعريف الصحف الدينية:

لغة: الصحيفة قرطاس مكتوب وإضمامة من الصفحات، تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة، بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بها، ج: صحائف و صحف.¹

² والصحيفة مهنية هي الصحيفة أو الجريدة، تطلق على النشرة اليومية وأحيانا على الأسبوعية.

اصطلاحا: نقصد بالتعريف الصحف الدينية الإسلامية فقط.

يقول عبد الحليم عويس: مصطلح الصحافة الإسلامية مصطلح حديث الاستعمال بالنسبة لنشأة الصحافة في العالم العربي والإسلامي، ويرى لأن السبب في ذلك هو أن نشأة الصحافة في العالم العربي وتطورها قد مر بأمرين:

أولهما: الظروف السياسية التي يتحكم في مسيرتها الاستعمار الصليبي...، وقد أبعد الإسلام عن مجالات التوجيه وعلى رأسها الصحافة.

ثانيهما: أن النشأة الصحافية قد قامت على أيدي أئلس ليسوا من المسلمين في جملتهم، ولم يشذ عن هؤلاء إلا قليلون ضاعت أصواتهم وسط أصوات الكثرة التي تساندها القوى الاستعمارية.³

ويقول عبد الحليم عويس مُعرفا الصحافة الإسلامية بالمفهوم الاصطلاحي: "إن الصحافة الإسلامية ليس شرطا أن تضع "لافتة" تبين خطها الفكري الواضح، وليس شرطا كذلك أن تُقيد نفسها "بأسلوب تقرييري" قد يكون مُنفرا، أو إعلاميا، وليس شرطا أن تلتزم في عملها بشكل معين أو قضايا معينة، وإنما يجب ألا تحمل لافتة تتناقض مع أساسية في التصور الإسلامي، أو أساسية في الفكر الإسلامي العام، وأن تكون ملتزمة بتدعيم القيم الإسلامية، مُتعاطفة مع قضايا المسلمين، غير مُنتمية لأعدائهم تصورا وأهدافا، وملتزمة أيضا بالشروط الإسلامية في الأعمال الفنية، فلا تُعلي من الشكل على حساب المضمون، ولا تُبيح بالتالي "الصور العارية" ولا "الكذب الصحافي" ولا "الإثارة" دون فائدة، ولا تعطيل الناس واستغلال أموالهم وأوقاتهم بلا مقابل.⁴

إضافة إلى ذلك هناك عدة خصائص يجب أن تتوفر في الصحافة الإسلامية يذكرها مصطفى الدميري في قوله:

"ولا تكون الصحافة إسلامية إلا إذا كانت المادة المنشورة بها إسلامية في المبادئ والأصول والأساليب والأهداف والاتجاه، فلا بد من اتباع شريعة الإسلام، والبُعد عن الأهواء الإنسانية عند تحرير الصحيفة الإسلامية".⁵

الصحافة الدينية الإسلامية في الجزائر والاحتلال الفرنسي:

تعتبر مرحلة الاحتلال -في رأينا- من أهم وأغنى المراحل التاريخية التي عرفت فيها الصحافة الدينية (الإسلامية) في الجزائر تطورا ملحوظا، نظرا للوضع الذي كان يعيشه الشعب الجزائري آنذاك، والمتمثل في الاستعمار الغاشم الذي وضع نصب عينيه، وجعل أولوية أولوياته القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية، من خلال التريبص ببعديها الأساسيين: الدين واللغة.

ومن خلال الاطلاع على جملة من الدراسات والأبحاث التي تناولت هذا الجانب، يتضح للدارس الاختلاف أو تضارب الآراء حول البدايات الأولى للصحافة الإسلامية في الجزائر.

ولتفادي الوقوع في مثل هذا الجدل والارتباك ارتأينا التركيز على صحافة لاخلاف حول نشأتها ولا مضامينها، وهي صحافة ابن باديس -رائد الإصلاح في الجزائر- سواء منها الخاصة أو المنضوية تحت جناح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بالإضافة إلى صحافة أخرى سارت معها جنبا إلى جنب وهي صحافة أبي اليقظان، ويمكن اعتبار هاتين الصحافتين أهم تجربة إصلاحية في الجزائر الاحتلال.

قبل الولوج إلى أغوار هاتين التجريبتين، لا بد أولا من التعرف على أهم الدوافع التي قادت الجزائريين إلى الميدان الصحفي، وذلك من خلال ما أورده تقرير لجنة البحث البرلمانية الفرنسية في سنة 1900، وجاء فيه: "أن الشبيبة الجزائرية كانت متفتحة على قضايا العالم السياسي وتطوراته، وكانت على دراية تامة بالحركات الوطنية مثل: حركة تركيا الفتاة وتونس الفتاة، وحركة مصطفى كامل، ونهضة الأفغاني ومحمد عبده، وهو ما جعل الإدارة الفرنسية تتخذ إجراءات قمعية ضد العديد من الصحف المشرقية والتركية والتونسية، عليها بذلك تعزل الشباب الجزائري عن هذه التيارات الوطنية، وتكرر هذا المنع بشدة فيما بين 1920 - 1925 ضد الصحف التونسية والمصرية بعد ظهور حركة الأمير خالد. وقبل هذا العامل وذاك فإن الجو السياسي والاجتماعي، الداخلي والخارجي يُعد ولا شك من أهم البواعث الدافعة إلى إنشاء صحافة عربية وطنية، إضافة إلى أوضاع العالم العربي والإسلامي قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها وبعدها، والتي علمت الجزائريين كيف يستفيدون من الصحافة للمطالبة بحقوقهم والتعبير عن مشاعرهم القومية والإسلامية".⁶

وبالتالي فإن أوضاع العالم الإسلامي -ورغم ما كانت تعيشه الجزائر في تلك الفترة- إلا أن مجموعة من رجالها المصلحين تعلموا كيف يستفيدون من تلك التجارب الصحفية في المطالبة بحقوقهم، رغم كل الصعوبات التي وضعها المستعمر لمنع ذلك.

"ولاشك في توجه الجزائريين إلى الميدان الصحفي، إذ كانت الصحف الاستعمارية تتدفق تدفقا عجيبا، وهذا مألفت أنظار المسلمين الجزائريين إلى هذه الحركة الواسعة التي غطت القطر كله شرقه وغربه، وأثارت تعجبهم للهِجة الحارة التي كانت تستعملها بعض صحف المعمرين في مخاطبة السلطة الحاكمة، فعلمهم ذلك أن يستفيدوا من هذه التجربة".⁷

فكان للاستعمار وأذنايه دور من حيث لم يعلموا في فتح أعين الجزائريين على أهمية الصحافة في نقل انشغالاتهم ومشاكلهم، والمطالبة بحقوقهم. "وبهذا رأى بعض علماء الجزائر المصلحين أهمية الصحافة في إيقاظ الشعوب، وحماية النهضة، وفي رد الظالمين، وفي فضح المستعمرين حتى يراهم العالم، فسارعوا إلى إنشاء الصحف الوطنية العربية الإصلاحية".⁸

1. صحافة بن باديس: إن أهم تجربة صحفية يمكن التطرق إليها في هذا المجال، هي تجربة رائد الإصلاح في الجزائر

- عبد الحميد بن باديس - سواء منها الشخصية أو التي تمخضت عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

حيث استقل الإمام عبد الحميد بن باديس وبرز بصحافته الإصلاحية ابتداء من سنة 1925، ولذلك دخل عالم الصحافة قائلًا: "باسم الله ثم باسم الحق والوطن، ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظم المسؤولية التي نتحملها فيه، مُستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون والمبدأ الذي نحن إليه عاملون".⁹

وبهذا أنشأ سنة (1925) جريدة "المنتقد" التي كانت متحررة وداعية للنهضة بأسلوب واضح وحماس، وكانت جريدة أسبوعية، تلقاها الشباب وأصحاب الفكر العربي النير بحماس أيضا.¹⁰ ويعتقد نصير بوعلي بالنظر إلى بعض الدراسات أن نشأة الصحافة الإصلاحية في الجزائر بدأت مع ظهور هذه الجريدة، والتي تبنت منهج الإصلاح، وكان الهدف منها هو الخروج بالدعوة الإصلاحية من النطاق الجهوي (قسنطينة) إلى المستوى الوطني.¹¹

ولم تكن أسماء صحف ابن باديس تُطلق هكذا عبثًا، بل كان وراء كل اسم معان ظاهرة تتضح من خلال الشعارات التي كانت تحملها، وكذا من خلال مضامينها.

جاء في سجل مؤتمر جمعية العلماء -بعد تأسيسها- حول تسمية "المنتقد": "وكان اسمها نذيرًا بالشر لأهل الضلال، فإنه مُتحدّ لما نهوا عنه، هاتك لحرمة ماشرّعه في كلمتهم التي حذروا بها العامة في قولهم: (اعتقد ولا تنتقد)."¹²

وقد تولى بن باديس رئاسة تحرير الجريدة، وتولى بوشمال إدارتها، وكانت شعاراتها جريئة دلت على خطتها الإصلاحية الواضحة، فهي: "جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية"، و"المنتقد" جريدة سياسية تهذيبية انتقادية" تعمل بمبدأ: الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء". ولأنها كانت الصحيفة العربية الجزائرية الأولى التي جمعت حولها الأقلام الإصلاحية المتمثلة في الشباب الجزائري المتقف العائد من الزيتونة والأزهر، ومعاهد الشام والحجاز بعد الحرب، وكان هدفهم واحد يُلخصه شعارهم "الوطن قبل كل شيء"، وساروا وفق خطة واحدة وهي الإصلاح الداخلي أولاً في سبيل إصلاح شامل.¹³ وكانت جريدة المنتقد من خلال مواضيعها حارة اللهجة، شديدة الانتقاد للإدارة ولضلالات وبدع الطرق الصوفية.¹⁴ فحاربته محاربة عنيفة، كما قاومت أفكار الفرنسية والتغريب التي كان الاستعمار يبيتها في عقول الشباب الجزائري، وفي الوقت نفسه كان بن باديس ينشر الوعي بين الجزائريين وينبهم إلى حقيقة وضعيتهم بين أمم العالم، وأن الجزائر أمة لها قوميتها ولغتها وتاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأومية، لا يعوزها شيء من مقومات الأمم.¹⁵

وعلى الرغم من الدائرة الإصلاحية الدينية التي كان يصدر ضمنها "المنتقد"، فإن الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والسياسية من الحياة الجزائرية مالم يثبت أن ظهر وتؤكد.¹⁶ كما أن ما يجري خارج الجزائر نال حظه من اهتمام المنتقد، وفي هذا يقول زهير احدادن: "غير أنها سمحت لنفسها (المنتقد) بالتعبير عن تأييدها للأمير عبد الكريم، الذي كان يقوم بثورة كبيرة ضد فرنسا واسبانيا في الريف المغربي".¹⁷

ولم تكن المنتقد محصورة المواضيع فيما سبق فقط، بل كانت مجالاً خصبا للإبداعات خاصة الأدبية منها. فكان ينشر فيها الأدباء المصلحون مقالاتهم وقصائدهم.¹⁸

ومع كل هذا لم تكن "المنتقد" لتصد، مع هذه المواجهة الصريحة والشرسة التي كانت تُبديها عبر صفحاتها للنوايا والجرائم الاستعمارية في الجزائر، وكذا للضلالات والبدع المختلفة. يقول أحمد توفيق المدني في هذا الشأن: "إلا أن أيام المنتقد لم تطل، فغطت بأمر حكومي".¹⁹

وبعد قرار تعطيل "المنتقد" أصدر بن باديس وفي قسنطينة أيضا جريدة "الشهاب"، ثم حولها إلى مجلة، واستمرت في الصدور إلى عشية الحرب العالمية الثانية، حين توقفت من تلقاء نفسها حتى تتجلى الحرب، وحتى لا تضطر إلى نشر ما لا ترضى عنه تحت قوانين الحرب.²⁰

وأدت "الشهاب" رسالتها الوطنية في بسالة وشجاعة²¹، حاملة شعارات لا تقل حدة عن شعارات المنتقد، منها: "لا تستطيع الظروف أن تُكيفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا". وقد استطاع بن باديس أن يكيف نفسه أحيانا مع الظروف السياسية، وفي الوقت نفسه كان صلبا في تأدية رسالته الإصلاحية والدفاع عن حقوق الشعب.²² وتمكن بحنكة وذكاء من اصطناع نوع من المرونة التي برع فيها خلال عقدين من الزمن، فخفف اللهجة وسار على خطة المنتقد في محاربة الطرق الصوفية، ونشر فكرة الإصلاح. وكان لهذه المرونة التي تميزت بها الشهاب دور في الاحتفاظ بها حتى نهاية سنة 1939.²³

وقد كانت الشهاب الجريدة تصدر مرة كل أسبوع ثم مرتين، ولكن اعترضتها أزمة مالية كادت أن تقضي عليها، فتحوّلت إلى مجلة شهرية تؤرخ للحركة الفكرية الجزائرية في مرحلة من أهم مراحلها التاريخية، وتتوّعت أبوابها بين التفسير ورسالات ومقالات متنوعة في مختلف المواضيع، إضافة إلى تقديمها عرضا لأهم الكتب والصحف التي كانت تصدر في الجزائر أو خارجها، وخاصة الإصلاحية منها، مثل: "المنار" لرشيد رضا.²⁴

والحق أن الشهاب كانت تتطور في أبحاثها ومواضيعها حسب التطورات السياسية والاجتماعية، يدل على ذلك شعاراتها، فقد صدرت في أول الأمر تحمل هذه المبادئ: "مبدؤنا في الإصلاح الديني والديني: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وتحت مباشرة: "الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات". أما أركان الغلاف الأربعة فكانت تحمل الكلمات الآتية: "الحرية، العدالة، الأخوة والإسلام". وبعد أن أخذت فرنسا تكشر عن أنيابها وتكشف القناع عن حقيقتها، وبداية من المجلد الحادي عشر (أفريل 1935) حذف ابن باديس الكلمات الأربع المكتوبة على أركان الغلاف الخارجي²⁵، والتي كان يُشير بها إلى المرحلة السياسية التي كان يطمع فيها الجزائريون أن تقدر فرنسا مساعداتهم التي قدموها لها إبان الحرب العالمية الأولى، لكن بعد حصول اليأس منها وابتداء من سنة 1937 استبدل الإمام الشعار السابق بشعار: "لنعول على أنفسنا ولننتكل على الله".²⁶ وبقي الشهاب تابعا للإمام وخصوصا به، مستقلا به عن الجمعية بعد تأسيسها عام 1931، مما أتاح له استقلاله أن ينشر فيه من الآراء والنداءات ما قد يعارض فيه بعض أعضاء الجمعية أو أغليبيتهم.²⁷

ومن هنا فإن مجلة "الشهاب" تعد من أهم المراجع التي تؤرخ للنهضة الفكرية الحديثة في الجزائر، مابين الحربين العالميتين، ولها الفضل في بعث الثقافة العربية الأصيلة في الجزائر، وحماية المقومات الذاتية بها، وقد صدرت بانتظام دون تخلف أو توقف من سنة 1925 حتى أوت 1939 وهو آخر عدد صدر منها.²⁸

2. صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: منذ سنة 1933، وبعد تأسيس الجمعية بسنتين أصدرت صحفها الخاصة، وهي بالطبع صحف إصلاحية تعبر عن اتجاه الجمعية في التعليم العربي والنهضة الإسلامية، ومحاربة البدع والطرقية المرتبطة بالإدارة الفرنسية،²⁹ وكانت أول جريدة باسمها هي جريدة:

أ- **السنة النبوية:** والتي صدرت سنة 1933³⁰، ولم تخرج هذه الجريدة عن النهج الذي رسمته سابقاتها، فقد حملت شعار: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" (الأحزاب: 21) وكذلك: "من رغب عن سنتي فليس مني" (حديث)، وقد صدر العدد الأول منها في الفاتح مارس 1933، وكانت تطبع دائما في مطبعة بن باديس "المطبعة الإسلامية الجزائرية" بقسنطينة،³¹ وكان يشرف عليها الإمام بن باديس ويرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي والسعيد الزاهري، ويقول بن باديس مبينا سبب إصدارها في: "...لنتشر على الناس ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم- في سيرته العظمى، وسلوكه القويم، وهدية العظيم، وبذلك يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم في الأقوال والأفعال والسير والأحوال، حتى

يكونوا للناس كما كان هو -صلى الله عليه وسلم- مثالا أعلى في الكمال.³² وسرعان ما أوقفتها الإدارة الإستعمارية، بحيث صدر آخر عدد منها في جويلية 1933،³³ وذلك بقرار من وزير الداخلية الفرنسي، وصادرت الشرطة نسخ العدد الأخير من هذه الجريدة،³⁴ وقد جاء في قرار المنع ما يأتي: "إن القرار الوزاري ينسحب على كل جريدة من هذا الاتجاه مهما يكن مكان صدورها، ولو كانت لأشخاص آخرين غير الأشخاص المذكورين."³⁵

ب - الشريعة المحمدية: تحت إشراف نفس الهيئة التي كانت تقوم على جريدة السنة،³⁶ وجاء في العدد الأول منها خبر تحت عنوان: "تعطيل السنة وإصدار الشريعة" لصاحبه عبد الحميد بن باديس، وجاء فيه: "رُوت الأمة بتعطيل جريدة السنة" بقرار من وزارة الداخلية، وتقاطرت على الإدارة رسائل الاستياء والتعجب، ولم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة، دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن عملها الديني التهذيبي الذي ذاقته الأمة حلاوته وشاهدت جميل أثره، وأسنا اليوم بدلها جريدة الشريعة المطهرة، وستقوم إن شاء الله مقامها وتحل محلها، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل."³⁷

ونلمس في افتتاحية نفس العدد نوعا من التعلق بالجمهورية الفرنسية -آنذاك- والتي قد تكون مناورة سياسية يهدف من ورائها إلى ضرب المتربصين بالجمعية، بعد أن حققوا بعضا من مرامهم حين صدور قرار منع العلماء من الوعظ في المساجد، وتعطيل جريدتهم ولسان حالهم دون موجب قانوني. ورغم ذلك صودرت الجريدة في 28 أوت 1933 بعد حوالي شهر ونصف من إصدارها.³⁸

ت - الصراط السوي: وهي أسبوعية، صدرت بتاريخ 11 سبتمبر 1933،³⁹ وجاء في العدد الأول منها: "... وها نحن اليوم نبرز جريدة "الصراط السوي" تسير على خطة سالفتيها، وتسعى إلى غايتها من نشر العلم والخير وخدمة الصالح العام."⁴⁰

ولعل الشيء اللافت للنظر في صدر هذه الصحيفة هو حملها لهذه الآية الكريمة شعارا: "قل كل متربص، فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى" (طه 135)،⁴¹ ولكنها عطلت هي أيضا في بداية كانون الثاني 1934.⁴²

ث - صحيفة البصائر:

• **السلسلة الأولى:** جاء في البصائر نفسها عن صدورها أو الحاجة إليها ماعنوانه: "جمعية العلماء وحاجتها إلى جريدة"، وجاء فيه: "لذلك رأيت جمعية العلماء ورأى معها كل مفكر منصف أنها لا تستطيع أن تبلغ رسالتها كما يجب، إلا بإنشاء جريدة تكون همزة وصل بينها وبين الأمة، لتنتشر فيها ما تسعى إليه من الغايات وماتراه ملائما لحال الأمة من التهذيب والتعليم،... ولو كان لجمعية العلماء جريدة لاستغنت عن أكثر النشريات التي تُذيعها من آن إلى آخر."⁴³

والبصائر من أهم صحف الجمعية، ومن أكبر الصحف العربية شهرة وانتشارا، ومن أعظمها أهمية لما تركته من أثر عميق في مجرى الحياة الوطنية من جميع نواحيها، وقد برز العدد الأول منها في 27 ديسمبر 1935، وأسندت الجمعية إدارتها ورئاسة تحريرها في أول الأمر إلى الشيخ "الطيب العقبي"، وامتيازها للشيخ "محمد خير الدين"، مُتخذة شعارا لها هذه الآية الكريمة: "قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ" (الأنعام 104). ومن خلال محتوياتها يتجلى طابعها النضالي في جميع الجبهات، ضد أعداء متعددين، من أبرزهم رجال الطرق والموظفون الرسميون ممن هم للمستعمر عيون وآذان.⁴⁴

ولم تقصر البصائر اهتمامها على ما يجري في الجزائر -على غرار باقي الصحف طبعًا- بل تعدته إلى فتح المجال للأقلام الإصلاحية المغربية، وكذا تتبّع سير الحركة الإصلاحية في تونس، إضافة إلى ذلك كان للأدب نصيب من اهتمامات البصائر، عندما فتحت المجال واسعا أمام اللامعين من الكتاب والشعراء في زمانها.

وهكذا سارت البصائر سيرا منظما وبلغت من الرقي والانتشار ما لم تبلغه أية جريدة عربية في الجزائر، إذ كانت تطبع حوالي 4000 نسخة، وهو رقم قلما بلغته جريدة أخرى في تلك الظروف، ومع قيام الحرب العالمية الثانية رأت الجمعية أنه من الأحسن للبصائر أن تتوقف من تلقاء نفسها حتى لا تضطر إلى التظاهر بمظهر لا يليق بسمعة الجمعية، "فالتعطيل خير من نشر الأباطيل" على حد تعبير الإبراهيمي. وفي رأي محمد ناصر، فقد صدر منها مائة وثمانون عددا منذ نشوئها إلى 25 / 08 / 1939.⁴⁵

• **السلسلة الثانية:** هي واحدة من أهم الجرائد في هذه الفترة، والتي صدرت عام 1947 بعد أن أُغلقت قبل الحرب. - كما ذكرنا سابقا-

وكانت "البصائر" في سلسلتها الثانية- صحيفة جامعة تعبر عن الاتجاه الإصلاحية السلفي الذي تتبناه الجمعية، وقد تناولت مواضيع ثقافية وعلمية وأدبية وسياسية.⁴⁶ وكان إصدار مثل هذه الصحيفة عملا مُجهدا حقا، فهي صحيفة تقاوم الحكومة الاستعمارية ولا تؤالبيها، مما جعلها تجد المقاومة في الترخيص لها.⁴⁷ وقد وصفها الإبراهيمي وصفا جامعا فقال بأنها: "سيف من سيوف الإسلام"،⁴⁸ وبعد قيام الثورة التحريرية كانت تُقرأ صفحة خاصة تحت عنوان: "الأزمة الجزائرية" وكان الشيخ أحمد توفيق المدني يقوم بتحريرها غالبا، واستمرت البصائر في الصدور حتى أفريل 1956.⁴⁹

• إلى جانب ذلك أصدرت الجمعية في سنة 1952 جريدة بالفرنسية أسمتها: "الشباب المسلم".⁵⁰ وهذه ميزة أخرى تُحسب للصحافة الوطنية الجزائرية في هذه الفترة، وهي إنشاء الصحافة الوطنية الناطقة بالفرنسية، والتي كان يقوم على تحرير مواضيعها بعض المثقفين الجزائريين الذين تلقوا تعليمهم في فرنسا، أو ما يعرف بالفرانكوفونيين، والذين كرسوا أنفسهم للصحافة الوطنية الجزائرية، وأعطوها مشهدا جديدا باللغة الفرنسية، والتي استفادت من مرونة السياسة الاستعمارية اتجاهها.⁵¹ وكانت هذه الصحيفة صورة لما تنشره البصائر في المواضيع والاتجاه، تناول نخبه من هؤلاء الكتاب على صفحاتها موضوعات مستقلة ذات اتجاه إصلاحية تجديدي أمثال: "مالك بن نبي"، وكانت الجمعية تُصدرها نصف شهرية من العاصمة، وتوجهها إلى الشباب الجزائري المثقف باللغة الفرنسية.

• وقبلها وفي سنة 1949 أصدر بعض أعضاء جمعية العلماء جريدة شعبية باسم "الشعلة"، والتي كان الهدف منها تعرية الفئة الجزائرية المتعاونة مع الفرنسيين، وقد كانت تحت إشراف الأديب أحمد رضا حوحو، والشيخ الصادق حماني، وكانت تُكتب بأسلوب ساخر، وأحيانا بالدارجة وبنبرة حادة ومباشرة.⁵²

3. صحافة أبي اليقظان: إن مرحلة الاحتلال في الجزائر من الجانب الصحفي قد تميزت وعُرفت أكثر ما عُرفت- وكما ذكرنا سابقا- بصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة عبد الحميد بن باديس، وتسلط الضوء عليها ليس على وجه الحصر، ولكن هناك صحافة أخرى في نفس الاتجاه، ازدهرت وعُرفت في هذه الفترة من تاريخ الجزائر، وهي صحافة أبي اليقظان.

يرى محمد ناصر بأن الحس الصحافي بدأ يتكون عند أبي اليقظان منذ صباه، ويتجلى ذلك في ميله إلى قراءة الجرائد والمجلات العربية الوافدة عليه من هنا وهناك، رغم انعزال مسقط رأسه في أقاصي الجنوب الجزائري.⁵³ وكان هذا الحس الصحافي ينمو عنده، ودفعه إلى تحرير بعض الصحف، ففي حوالي سنة 1913 حرر بيده صحيفة كاملة أسماها "قوت الأرواح"، كما حرر صحفا أخرى غيرها ولكنها لم يحافظ عليها، فقد كان طموحه يأبى عليه الوقوف عندها، فكان مصيرها جميعها سلة المهملات. لكن هذا العمل البدائي الذي اعتبره شبيها ب: "لعب الأطفال" تطور ليصبح مشاركة ناضجة في الصحافة الجزائرية التونسية.⁵⁴

ومن أهم الأسباب التي دفعت بأبي اليقظان إلى ميدان الصحافة، هو ذلك الشعور الوطني النابض الذي أخذ يمتد وينتشر في أعقاب الوعي الإصلاحي الذي ظهر بصفة خاصة حوالي 1925، مُنتظما في الشمال حول صحيفة "المنتقد" للشيخ بن باديس، وفي الجنوب في الحركة الإصلاحية بزعامة الشيخ بيوض إبراهيم.⁵⁵

إضافة إلى هذه الأسباب وغيرها، يتجلى ذلك الحب الذاتي للصحافة عند أبي اليقظان، إلى درجة تشبيهها بالحياة، فهو القائل:

إن الصحافة للشعوب حياةً
فهي اللسان الذلُّق الذي
والشعب من غير اللسان مواتُ
ببيانه تُتدارك الغايات
ما (ذو الحجاز) وما (عكاظ) وما
وما، إن ساعدت لرواجها الأوقات.⁵⁶

وكانت صحف أبي اليقظان فتحا جديدا في الصحافة العربية، وقد تحمل الأتعاب الكثيرة وقاسى المرائر الشديدة من الاستعمار وأذنايه، وثبت في الميدان الصحفي ثبات الأبطال، وكان لصحفه أعظم الآثار في الجزائر والمغرب، دفعت بالنهضة في الشمال والجنوب أشواط واسعة.⁵⁷

وبدأ أبو اليقظان بجريدة "وادي ميزاب" التي صدرت في العاصمة في أكتوبر 1926، وبعد أربعة أشهر عطلتها الإدارة الفرنسية، والتعطيل معناه في لغة ذلك الوقت أنها كتبت مالا ترضى عنه الإدارة، وهو عادة ما يخدم القضية الوطنية والقضايا العربية والإسلامية الأخرى.⁵⁸ وقد ظهر منها 19 عددا، وعلقت "الشهاب" المؤرخة في فبراير 1929 على تعطيلها بقولها: "لقد فقدت الصحافة الجزائرية بتعطيلها عُضوا عاملا ناعما، ومظهرا من مظاهر رقيها ونزاهتها، فأسفنا مؤلم وشديد".⁵⁹

ثم أصدر جريدة "ميزاب" سنة 1930، فحجزت الإدارة عددها الأول وعطلته، وأصدر من بعد "المغرب" سنة 1930، فعاش مدة وجيزة ثم خنقت الإدارة أنفاسه، ولم يعمر سوى عشرة أشهر.⁶⁰

وكذلك نذكر "النور" عام 1931، والتي صدر منها 78 عددا، و"البستان" سنة 1933، صدر منها عشرة أعداد، و"النبراس" عام 1933، صدر منها ستة أعداد فقط، و"الأمة" سنة 1933 كذلك، وصدر منها 170 عددا، وأخيرا "الفرقان" سنة 1938، صدر منها ستة أعداد فقط.⁶¹

وبعد تعطيل هذه الأخيرة أوردت البصائر خبرا بعنوان: "الفرقان تلحق الأمة"، وجاء فيه: "لم يكد يجف مداد الإعلام في أسف عن تعطيل صحيفة الأمة للشيخ أبي اليقظان حتى وقع إلينا نبأ تعطيل خليفتها صحيفة الفرقان. ونحن لا نقول إزاء هاته المعاملة كلمة غير الإعجاب بهمة الشيخ أبي اليقظان أمام كوارث التعطيل المتتالية، وغير الإعجاب من سوء نظر الإدارة في الصحف العربية الصادقة، وفقد قانون لهاته الصحافة يحميها من أغلاط أولي النظر".⁶²

لقد كان اهتمام جمعية العلماء واضحا بمصير الصحف التي كانت تصدر في ذلك الوقت، حتى وإن لم تكن من طرفها، وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى تلك المرحلة التي كان فيها الشعب الجزائري في أمس الحاجة إلى جهاد الكلمة ليناضل جنبا إلى جنب مع الجهاد المسلح، وبذلك لم تكن صحف الجمعية تغفل أي خبر يتعلق بسقوط صحيفة وطنية إصلاحية شهيدة في ميدان الشرف، إلا وتعلن عن أسفها ورفضها لما حدث.

وهكذا كانت نهاية كل صحيفة إسلامية عربية إصلاحية تسير في هذا الاتجاه وتدافع عنه، فصحف أبي اليقظان كانت تتضمن مقالات عن مختلف القضايا الإسلامية، كتفرق المسلمين واختلافهم، وخطر هذا عليهم، وكذا التنديد بأعداء الإسلام والتشهير بمخططاتهم، إلى جانب تضمينها دعوة حارة إلى كافة المسلمين للتضامن وعرض الحلول الممكنة للتغلب على هذا الواقع المرير.⁶³ والعجيب في الأمر أنه في سائر هذه التعطيلات المتلاحقة، لا يوجد تعطيل واحد يستند على قرارات إدارية بحتة، وعلى إيعازات خاصة.⁶⁴

ويمكن تلخيص وضعية الصحافة العربية الإسلامية في هذه الفترة بما جاء في مقال نشرته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في صحيفة البصائر نقول فيه: "في الجزائر صحافة تصدر باللسان الفرنسي، تتمتع بكل حرية في إيداء رأيها وهي آمنة مطمئنة، وفيها بعضُ صحفٍ تصدر باللسان العربي، هي معرضة في كل حين للمصادرة والتعطيل، بمجرد كلمة صريحة تقولها، أو وشاية مغرض، أو ترجمة خاطئة يقدمها جاهل، ولا تتجو من ذلك إلا صحيفة تعيش بالكذب والنفاق والغش".⁶⁵

ومن خلال استعراضنا لتجربة الصحافة الدينية الجزائرية ممثلة في صحافة بن باديس، وصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصحافة أبي اليقظان، وقفنا عند العديد من التحديات التي واجهتها، على رأسها طبعاً الاستدمار الغاشم، ووقوفه غصة في حلق صاحبة الجلالة، كما أطلق عليها أحمد توفيق المدني، والذي قال: "لا تتمتع صاحبة الجلالة المسكينة بأي حق، ولا بأي حرية في الجزائر، إذا كانت لغتها عربية، أما إن كانت لغتها فرنسية، فهي تتمتع بأقصى الحقوق، وتاريخ الصحافة العربية الجزائرية ليس إلا تاريخ نضال متواصل، وسقوط متتابع في ميدان الشرف".⁶⁶

- ¹ جماعة من المختصين، إشراف أحمد أبو حاققة: معجم النفائس الوسيط، ط1: دار النفائس، بيروت، 2007، ص: 675
- ² محمد هاشم الهاشمي: الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص: 71.
- ³ فؤاد توفيق العاني: الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص: 61.
- ⁴ المرجع نفسه، ص: 62، 63.
- ⁵ مصطفى الدميري: الصحافة في ضوء الإسلام، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1988، ص: 33.
- ⁶ محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط3، دار الغرب الإسلامي، 2007، ص: 29، 30.
- ⁷ المرجع نفسه، ص: 11.
- ⁸ محمد علي ديبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ج2، ص: 7.
- ⁹ عبد الرشيد زروقة: جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي (1913-1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت، 1999، ص: 178.
- ¹⁰ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، ج5، 1830-1954، بيروت، 1998، ص: 253.
- ¹¹ نصير بوعلي: تجربة الصحافة الإسلامية في العالم العربي، مجلة المعيار، تصدر عن كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، 2006/13، قسنطينة، الجزائر، ص: 254.
- ¹² محمد علي ديبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، مرجع سابق، ص: 7.
- ¹³ محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، مرجع سابق، ص: 95.
- ¹⁴ تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس -رائد الإصلاح والتربية في الجزائر- ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 115.
- ¹⁵ محمد ناصر: مرجع السابق، ص: 95.
- ¹⁶ محمد الملي: ابن باديس وعروبة الجزائر، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، سحب المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص: 13.
- ¹⁷ زهير احدادن: الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال، من كتاب: عالم الاتصال، إعداد مجموعة من الأساتذة تحت إشراف: عزي عبد الرحمان، سلسلة الدراسات الإعلامية، الجزائر، 1992، ص: 109.
- ¹⁸ محمد علي ديبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، مرجع سابق، ص: 9.
- ¹⁹ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، البلدية (الجزائر) 1963، ص: 346.

- ²⁰ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص: 253
- ²¹ تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس - رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص: 115.
- ²² أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 142.
- ²³ بوالصفاصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978، ط1، دار البعث، قسنطينة (الجزائر) 1981، ص: 140.
- ²⁴ محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 103 - 104.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص: 106.
- ²⁶ عبد الرشيد زروقة: جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي (1913-1940)، مرجع سابق، ص: 181.
- ²⁷ محمد الملي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ص: 15.
- ²⁸ محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 106.
- ²⁹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص: 253.
- ³⁰ تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس - رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص: 117.
- ³¹ بوالصفاصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ج1، ص: 402.
- ³² محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 182.
- ³³ تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس - رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص: 117.
- ³⁴ بوالصفاصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، مرجع سابق، ص: 403.
- ³⁵ محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 44.
- ³⁶ المرجع نفسه، ص: 226.
- ³⁷ الشريعة: السنة1، العدد1، 17 جويلية 1933، قسنطينة، ص، 1-2، من كتاب: الشريعة المحمدية، الأعداد 1-7، 1933، دار الغرب الإسلامي
- ³⁸ محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 226.
- ³⁹ عبد الرشيد زروقة: جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي (1913-1940)، مرجع سابق، ص: 183.
- ⁴⁰ الصراط السوي: السنة1، العدد1، 11 سبتمبر 1933، قسنطينة، ص، 2، من كتاب: الصراط السوي، الأعداد 1-17، 1933، دار الغرب الإسلامي
- ⁴¹ محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 264.
- ⁴² عبد الرشيد زروقة، مرجع سابق، ص: 183.
- ⁴³ البصائر: السنة1، العدد1، 1935، قسنطينة، ص، 6، من كتاب: البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السنة الأولى، الأعداد 1-50، 1935 - 1936، دار الغرب الإسلامي، ص: 10.
- ⁴⁴ محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 279 - 281.
- ⁴⁵ المرجع نفسه، ص: 283 - 289.
- ⁴⁶ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ج10، 1954 - 1962، ص: 197.
- ⁴⁷ أوصديق فوزي بن الهاشمي: محطات في تاريخ الحركة الوطنية بالجزائر 1962 - 1988، ط1، دار الانتفاضة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1992، ص: 19.
- ⁴⁸ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، مرجع سابق، ص: 197.
- ⁴⁹ المرجع نفسه، ص: 198.

⁵⁰المرجع نفسه، ص: 198.

⁵¹Mohamed Kirat : **the communicators, a portrait of algerian journalists and their works** : office des publications

univresitaires; université d alger; 1993; p34

⁵² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 198.

⁵³ محمد ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 13.

⁵⁴المرجع نفسه، ص: 14.

⁵⁵المرجع نفسه، ص: 16 - 20.

⁵⁶صالح خرفي: **أبو اليقظان في الخالدين**، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة3، العدد14، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص: 12.

⁵⁷ محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، مرجع سابق، ص: 9.

⁵⁸أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص: 264.

⁵⁹ علي مرحوم: **نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية**، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة3، العدد14، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد: 39، جوان/ جويلية 1977، ص: 33.

⁶⁰ أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص: 347.

⁶¹المرجع نفسه، ص: 33.

⁶²**البصائر**: السنة3، العدد 129 ، 1938 ، قسنطينة، ص، 3، من كتاب: **البصائر**، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السنة 3، الأعداد 90 - 140، 1937 - 1938، دار الغرب الإسلامي، ص: 321.

⁶³ محمد ناصر: **أبو اليقظان والقضايا العربية والإسلامية**: مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، السنة 4، العدد: 22، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 55.

⁶⁴ محمد ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، مرجع سابق، ص: 27.

⁶⁵**البصائر**: السنة3، العدد 117 ، ص، 6، من كتاب: **البصائر**، مرجع سابق، ص: 228.

⁶⁶ أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص: 344.

